

Literature in Northern Nigeria

From Foundations to Contemporary Challenges



**Saidu Ahmad Babura
Sani Abba Aliyu
Ahmad Murtala**

CHAPTER EIGHT

Crossing the Border between Translation and Adaptation:

A Study of Self- Translation of Tales

Hauwa Mohammed Sani..... 106

CHAPTER NINE

Documentation, Preservation and Dissemination of Arabic and
Islamic Heritage: The Basis of Scholarship in Northern Nigeria

Ibrahim Dogara..... 113

CHAPTER TEN

Minding the Woman: an Eco-feminist Reading of Alkali's

The Stillborn

Agofure, Joyce Onoromhenre..... 123

CHAPTER ELEVEN

بسم الله الرحمن الرحيم

المعاني الصوفية في شعر عيسى ألي أبي بكر:

دراسة أدبية لتأنيته في كرامات الأولياء.

بقلم:

أبو بكر عبد الله صلاحي

قسم الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الحكمة، إلورون.

..... 134

CHAPTER TWELVE

Popular Culture and Popular Literature in Hausa:

The Example of *In Da KwaJayi*...Bilkisu Salisu Ahmed Funtua

Sulaiman, I.I..... 148

CHAPTER THIRTEEN

Nupe Female Praise Singer and Globalization:

A Case Study of Hawawu Kulu Lagiagi

Sharu Muhammad..... 155

CHAPTER FOURTEEN

Social Mediation in Denja Abdullahi's *Mairogo*

Saeedat Bolajoko Aliyu (Mrs.)..... 170

CHAPTER ELEVEN

بسم الله الرحمن الرحيم

المعاني الصوفية في شعر عيسى ألي أبوبكر:

دراسة أدبية لتأنيته في كرامات الأولياء.

بقلم:

أبوبكر عبد الله صلاحي

قسم الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الحكمة، إورن.

المداخل:

لا يستهان بالأدوار الفعالة التي يقوم بها الشيوخ الصوفيون في نشر الدين الإسلامي وثقافته الغنية في ربوع نيجيريا بداية من عصر الشيخ عثمان فوديو أو ما قبله - إن صح التعبير - إلى العصر الراهن. فقد جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم محترسين وراحين عند الله الأجر في الحياة الدنيا والثواب بالجنة في الدار الآخرة. ونسج إلى جانب ذلك، شعراء اعترفوا بالجهود الجبارة التي بذلها هؤلاء الشيوخ فسجلوها في صفحاتهم الشعرية المصطبغة بكثير من المعاني الصوفية. ومن بين هؤلاء الشعراء، دكتور عيسى ألي أبوبكر الذي يعتبر زعيما كبيرا للشعر العربي في ربوع نيجيريا خاصة والعالم الإسلامي عامة، حيث تمتع أشعاره بعمود الشعر العربي. وحيث دليل على هذا، كتاباته الشعرية المنشلة في دواوينه إضافة إلى دراساته النقدية في مختلف الميادين العلمية والأدبية. وقد نعتى هذا الشاعر العملاق بكثير من المعاني الصوفية في أشعاره الرائعة اعترافا بجهود أولئك الشيوخ الجبارة، وإعجابا بكراماتهم النادرة، وتخليدا لذكراهم الطيبة. وتهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على قصيدة تأتية عنوانها "كرامات الأولياء"، عبر فيها الشاعر عن المعاني الصوفية ودراسنها دراسة أدبية على النحو التالي:

- ترجمة الشاعر،
- المعاني الصوفية في شعره والإتيان ببعض الساذج،

- عرض القصيدة النائية في كرامات الأولياء،
- الدراسة الأدبية للقصيدة،
- التعليق،
- الخاتمة،
- الهوامش.

ترجمة الشاعر:

هو عيسى ألي بن أبي بكر، ولد سنة 1953م بجمهورية غانة على فطرة الإسلام في كنف والديه الشريفين. نشأ بها وترعرع وتربى على سلوك حسن بروحية الشعائر الدينية والمشاعر الخلقية. ثم أحسنت كفالته عمته حليلة السعدية التي أرسلته إلى مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي لاغوس¹.

سكن لعهد الطفولة والنشأة غانة، ثم عاد إلى إلورن فانضم إلى كتاب الشيخ محمد بن عيسى بحارة غمبري، فتلقى منه القرآن الكريم على المنهج التعليمي المعتاد، ثم التحق بعد ذلك بالمركز الرئيس بأغيغي واجتاز المرحلتين الإعدادية والتوجيهية عام 1965-1971م. حصل على الدبلوم في اللغة العربية بجامعة بايرو كنو عام 1976-1979م، نال الليسانس في اللغة العربية وآدابها بجامعة إلورن عام 1979-1982م، والماجستير في اللغة العربية وآدابها عام 1987م بجامعة بايرو كنو، ثم حصل على الدبلوم العالي بجامعة الملك سعود بالرياض عام 1991م، ونال الدكتوراه بجامعة إلورن عام 2000م². وهو أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها حالياً، ومنسق (سابقاً) للدراسات العليا بقسم اللغة العربية، ومدير (سابقاً) لمركز المعاهد التابعة لجامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.

للشاعر عدد كبير من المقالات العلمية في اللغتين العربية والإنجليزية داخل نيجيريا وخارجها، ومن الأعمال الشعرية الكثيرة، أجمل بعضها في ديوانين أصدر أولهما وهو الرياض سنة 2005م، وثانيهما السباعيات سنة 2008م إضافة إلى ديوانه الثالث صوت الخاطر الذي كان تحت الطبع ويضم عدداً من إبداعات شعرية جذابة بما فيها من بعض القصائد الممتلئة بالمعاني الصوفية. وله أعمال أخرى وهي:

- دراسات في شعر الجهاد لدى عبد الله بن فودي.
 - و أعمال العلامة الإلوري: عرض وقراءة.
 - و أساليب بلاغية في بعض أعمال الشيخ آدم عبد الله الإلوري.
- لم يزل الشاعر على قيد الحياة يملأ الأمسيات الأدبية بالآلي والدرر من ثمار قريحته الطيبة، أمد الله في عمره لخدمة الإسلام وتطوير الأدب العربي الإسلامي³.

المعاني الصوفية في شعره والإتيان ببعض النماذج:

لم يكن عيسى ألي أبوبكر من الشعراء الذين تغلب على أشعارهم التزعة الصوفية كما كانت الحال واضحة عند غيره، أمثال الشيخ محمد الناصر كبير والشيخ أبوبكر عتيق الكتوين، والشيخ محمد ميماسا الإلوري، حيث تأخذ الإبداعات الشعرية الصوفية بنصيب الأسد من إنتاجهم الأدبية، فنصفه بالشاعر الصوفي، ولم يكن ينتمي إلى طريقة من الطرق الصوفية المشهورة، فنجزم أنه قادري التزعة أو تيجاني التزعة، إنما هو يتمتع بخلفية صوفية طيبة من حيث البيئة والنشأة والتربية. هذا بالإضافة إلى صحبته الكريمة لبعض أصحاب الطرق الصوفية في مدينة إلورن وغيرها. وعلى هذا الأساس، كان الشاعر عيسى ألي أبوبكر مولعا بحب الشيوخ الصوفيين ومعجبا بالكرامات التي يكرم الله بها أوليائه الصالحين، الأمر الذي ما زال يحفز به إلى تسجيل المعاني الصوفية في أشعاره.

ونعني بالمعاني الصوفية في هذا السياق، تلك القصائد التي قالها في بعض الأغراض الصوفية كالمدح النبوي، ومدح الشيوخ الصوفية وراثتهم، وشرح الأحوال والمقامات، والزهد. ونضرب على سبيل المثال نماذج من المعاني الصوفية في شعره.

يقول في المديح النبوي على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

الفعل فعلي والكتللي مقالي ** إني صرفتُ إلى التقى أوصالي

أنا إن رقدتُ ففي رُقادي عصمة ** وإذا جلستُ ففي الجلوس جلالي

وإذا سكتُ ففي سكوتي فكرة ** أنا منقذ قومي بها ورجالي

وإذا نظرتُ إلى السماء نجومها ** فأنا أناجي الله بالإجلال

هل غرّكم قولِي لكم أنا مثلكم؟ ** والله ليس كمثلكم أمثالي⁴

وله في مدح الشيوخ الصوفية أبيات شعرية رائعة تغنى فيها عن حبه لهم كما
سجل فيها فضائلهم المتميزة وخصائصهم الروحية السمحة. منها بعض أبياته في مدح
الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري، يقول:

إني أتيتك مادحا بسطوري ** عبد السلام الأسمر الفيتوري
لهج الأفاضل بالثناء عليك في ** أدب فجئت بشعري الميسور
حسب الولاية أن تكون حديث من ** عرف السبيل بعلمه المبرور
بركات فضلك في المدائن نفحها ** وسرت أرائجها إلى التكرور⁵
وله في رثاء الشيوخ أبيات شعرية منها ما رثى بها الشيخ كمال الدين الأدبي
الإلوري، يقول:

ويح النفوس فقدنا من يزكّيها ** بالصالحات وبالتنوير يحييها
مات الذي دانت الدنيا لرغبته ** وودّه كلّ من فيها وما فيها
نرجو بقاء (كمال الدين) في وله ** والروح تهبّو إلى الرحمن بارئها
فراقه ترك الأكباد في هلع ** ولا ترى في هموم من يسليها
ياربّ رفقا بأرواح المشايخ في ** يوم التنادي وكن في الروح هاديها
وارحم إلّهي (كمال الدين) قدوتنا ** من جاء هذي الدنا يجلي دياجيها⁶
وقال هذه الأبيات التالية في رثاء دكتور حامد إبراهيم عولاغنحو رحمه الله، وقد
كان - في حياته - محاضرا كبيرا في قسم اللغة العربية بجامعة إلورن، وأحد الشيوخ الأكابر
في الطريقة القادرية في مدينة أيدي Ede ولاية عوشن.
أبدى مماتك عجز كلّ طبيب ** والموت يقطع قول كلّ خطيب
وإذا أتى عبد تَضَعَّعَ رشدنا ** وأزال بالأحزان عقل أريب
فارقتنا فجعلتنا في حيرة ** وتركت أهلك في أسى ونحيب
حتى قال عنه

وحبيب طلاب يعزّ عليهم ** فقدان شيخ عالم وعجيب
ونلتّم قرآن ترتل آيه ** في كلّ إشراق وعند غروب
وشريك أقطاب الطريقة ذاكرة ** أوراها لتزول كلّ ذنوب⁷

عرض القصيدة الثانية:

سرُّ الولاية تفشيه الكرامات ** لله في الخلق أسرار وغايات
والسرّ لا يتجلّى لامرئ عبثاً ** إلّا وتعجم عوديه الأذيات
إنّ الحقيقة نور ليس يونسه ** قلب صديّ تغطيه الغباوات
لا يمتري المرء فيما ليس يعلمه ** إنّ الشكوك تجليها الدرايات
صغرى النبوة لا تبلى ميامنها ** إذا التقى تحليه العبادات
أعلى الكرامات علم يُستنار به ** يُنال بالجدّ تعلوه المضرات
فيضُ الكرامة يُجريه الإله على ** يدِ التقى فتسمو منه هِمّات
وتلك من معجزات المصطفى وبها ** تعلو وتُحقق للإسلام رايات
يؤمن الله يومَ الروع عابده ** بما ويُخذل بالتعبير شّمات
لولا الولي الذي تحلو مناقبه ** لكان يوما لهذا الدين إخبات
لولا الولي الذي تُرجى عجائبه ** لما علتْ لهُداة الدين أصوات
وإنّ تحليله كثر يدخره ** عند الإله به تحلو المبالات
تزيد أسماه في الناس هيئته ** كما تزيد جلال الملك قوّات
إنّ الجماعة لا توحي عزيمته ** كالليث في الجوع لا تعدوه سُورات
ولا يُعاديهِ إلّا فاجر بطلتْ ** دنياه تغمره بالهمّ ويلات
مهذب النفس صافٍ في مقاصده ** في نُصرة الحقّ والإيمان مِصلات
يرى البعيد بعيني مُلهم فطين ** وعند أمثاله تصفو المشورات
تراه غايةً ملهوف تمّدها ** نوائبُ الدّهر قد أنصته آهات
فخاره صائم لله في وجَل ** وفي النوافل لا تكفيه ساعات
ذكراك (ألفاً صلاتي) في ضمائرنا ** والأولياء كأحياء وإن ماتوا
ما مات مثلك والأفكار ذاكرة ** أيّامك البيض والأيّام خيرات
أطفأت نيران شرك في مواقدها ** فصار للدين والقرآن إنصات
ولم يقم لعداة الدين قائمة ** تَبَدّد الشمل والكفّار أشتات
وجاء منك لكبت الشكّ خارقة ** عند التحدي وللمرتاب طيات
نبئت لله كل يرضى مساجده ** فكان أجرك في العقبى مسرات

أيدت آدم بالإخلاص محتسبا ** لم يبدُ بينكما قطَّ عداوات
تضامن كان للإسلام مفخرة ** تضامن صدرت منه الكرامات

بذلت جهدك تستقصي مناقبه ** ليستفيد بما فيها البريات
هذا الكتاب يُزيل الريب منطقهُ ** عن القلوب لكي تبقى الحقيقات
كفاك (ناصر) في الإسلام مفخرة ** هذا الكتاب الذي زانته ميزات⁸

الدراسة الأدبية للقصيدة:

مناسبة القصيدة وجوها:

صدرت هذه القصيدة (كرامات الأولياء) - أصلا - في كتاب "دقائق الصفات
في بعض كرامات الشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاتي"، لمؤلفه محمد ناصر الدين أبوبكر
الصلاتي (شيخ الحلقة) سنة 2007م. وقد قدّم المؤلف كتابه هذا إلى شاعرنا للتصفح
والتعديل والتنقيح، فأعجب بما فيه من كرامات عديدة للشيخ إندا صلاتي، وأدّى بالتالي إلى
تسجيل ما رأى وأحسّ في أبيات شعرية جذابة.

وإذا أمعنا النظر في مضمون القصيدة نرى واضحا أنّ الشاعر استطاع أن ينقل
إلينا الحالة الروحية التي وجد نفسه في عالمها تجاه المقامات التي يتمتع بها أولياء الله الصالحون
وخاصة الشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاتي الإلوري. ويطلق الأدباء الصوفيون على مثل هذا
الغرض بـ "شرح الأحوال والمقامات".

وهذه القصيدة التي بين أيدينا، يمثّل جوّها مرآة شفافة تنعكس عليها شخصية
الشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاتي الفذة في التقوى، والإخلاص، والعبادة، والقناعة، والهيبة،
والولاية، والحقيقة. ويبلغ عدد أبيات القصيدة ثلاثين بيتا شعريا امتلأت أبياتها باصطلاحات
صوفية ذات معان طنانة هي كرامات الأولياء.

الأفكار المتواجدة في القصيدة:

تضمّنت هذه القصيدة أفكارا كثيرة يتماسك بعضها ببعض، ونفصلها على حدّ
النقاط التالية.

1. استهّل الشاعر القصيدة في الأبيات الخمسة الأولى بالحديث عن الولاية. وهي سرّ تُظهرها الكرامات التي هي من خوارق العادات، يكرم الله بها أوليائه الصالحين ليشهد الناس عليهم بمقامة روحية لا يناها العبد عبثاً إلا بشقّ الأنفس. وهذه الولاية حقيقة نورية لا تحلّ إلا في قلب صاف يهبط من خشية الله. إذ الإنسان لا يشكّ فيما هو جاهل به. وهذه الولاية المعبر عنها صغرى من النبوة، فالنبيّ محمد خاتم الأنبياء، والكرامة كالمعجزة التي تبرز نبوة نبيّ وتصدّق رسالته،

2. إنّ الكرامة العليا التي يتمتّع بها العبد هو العلم الذي لا يحصل عليه إلا بالجدّ والمشقة، وهو فيض الكرامة الذي يتحلّى به العبد التقى. فالولاية والكرامة والفيض كلّها من معجزات النبيّ المصطفى التي إليها تقف النفوس وتطمئنّ القلوب.

3. ومن البيت التاسع إلى البيت التاسع عشر، التنويه بمناقب الوليّ الخاشع الورع الصافي القائم الليل الصائم النهار، وكراماته العجيبة وعباداته المتعدّدة الوجوه التي بها يذيع صيت الإسلام والمسلمين، وبها يتوسّل الناس إلى المولى العظيم في قضاء الحوائج.

4. ومن البيت العشرين إلى السابع والعشرين، دلالة واضحة على أنّ الوليّ المشار إليه هو الشيخ أحمد الرفاعي الشهير بـ "ألفا صلاتي". فهو حيّ بعد مماته لأنّ آثاره الطيبة لم تزل حية، والتاريخ يعيد لنا الجهود الجبّارة التي بذلها في إخماد نيران الشرك، وتشتيت شمل الكفار، ومحاربة المشركين، فاستطاع بعون الله تعالى أن يبني في مختلف البلدان مساجد أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه، ولم يقف عند هذا الحدّ فحسب، بل أيد الشيخ آدم في كثير من المناسبات التي يشهد عليها التاريخ راجياً في ذلك كله الأجر من الله في الدنيا والآخرة. هذا، وإن دلت هذه الآثار، والمناقب، والعجائب على شيء، فإنما تدلّ على التضامن الإسلامي الذي منه صدرت كرامات الشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاتي.

5. في الأبيات الثلاثة الأخيرة، يجذب الشاعر عمل المؤلف ويقدر جهده في تسجيل كرامات الشيخ إندا صلاتي في صفحات التاريخ استقصاء لمناقبه وتخليداً لذكره لينتفع الناس بما في هذا الكتاب من الحقائق والعجائب.

اللفظ والمعنى في القصيدة :

يعتني النقاد اعتناء بالغاً باللفظ والمعنى في العمل الأدبي حيث لا يجذبون الميل إلى جانب دون الآخر. ومن بينهم ابن رشيق الذي يرى أن اللفظ جسم وروحه المعنى، وأنهما متلازمان وما يصيب أحدهما من آفة يصيب الآخر والعكس، وهما مترابطتان ترابط الثوب بمادته، بل هما شئ واحد ووحدة واحدة⁹. وإن القصيدة الجيدة هي التي تتراوح بين اللفظ والمعنى حيث لا تكون ألفاظها طوفانا على صحراء من المعاني. وعلى هذا، يبدو أن الشاعر في هذه القصيدة موفق إلى حد كبير في حسن اختياره الألفاظ التي لا يتقل عليها حمل معانيها المنشودة إضافة إلى بعض الاصطلاحات الصوفية الواردة في القصيدة مع أنه لا يعدّ شاعراً صوفياً كما سبق الحديث عنه. ولست تراه متكلفاً أو متصنعاً في تلكم الألفاظ واستخدامها للمعاني التي يجيش في ضميره مما يدلّ دلالة واضحة على مدى شاعريته. وعلى سبيل المثال وردت كلمات عديدة في القصيدة، ذات الطابع الصوفي منها "الولاية، والسر، والتجلي، والحقيقة، والكرامة، والفيض، والهمة، والهيبة، والولي، والعجائب، والمناقب، والتهليل، والكثر، والصفاء، الشيخ، والملهوف، والنفس، والخارقة..." نختار من هذه الاصطلاحات وننظر فيها وفق الدلالات الصوفية وكيف عبّر الشاعر ببعضها في القصيدة.

الغيبية أثر مشاهدة جلال الله تعالى في القلب¹⁰، والنفس ما كان معلولاً من أوصاف العبد كذميم الأفعال وسفاسف الأخلاق وذلك مثل الكبر والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال¹¹، الهمة تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى، وتطلق بإزاء أول المرید، وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام¹²، والولاية في مفهوم ابن عربي — مرتبط بفلسفته في وحدة الوجود — هي مرتبة من مراتب القرب الإلهي، يتولّى فيها الحق عبده، والعبد ربّه فالولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين...¹³، والشيخ هو الإنسان البالغ في العلوم الثلاثة التي

هي علم الشريعة والطريقة والحقيقة، إلى الحدّ الذي من بلغه كان عالماً ربّانياً مربّياً هادياً مهدياً إلى طريق الرشاد¹⁴.

وعبّر الشاعر عن الكرامة بكلمات مختلفة منها أنّها السرّ لا يدركها العبد إلّا بالعناء، وأنّها الحقيقة وهي نور ليس من طبيعته أن يحلّ في القلوب القاسية، وأنّها العلم المستنار به، وأنّها العجائب والمناقب والإلهام والعبادة الخالصة التي بما استتبّ أمر الدين الإسلامي في المدن والقرى وبما يُتوسّل إلى المولى الجليل. ويبدو أنّ هذه الكلمات (السر، الحقيقة، العلم، العجائب، المناقب، الإلهام، العبادة الخالصة) برمتها لا توحى إلينا معنى آخر سوى المعنى السائد في جملة القصيدة وهو كرامات الأولياء.

العاطفة والخيال في القصيدة:

تلعب العاطفة والخيال أدواراً ملموسة في أدبية نصّ الشاعر، ولست تجد شعراً من الأشعار العربية الجيدة إلّا وعليهما ينبنى. إذًا، فالعاطفة، هي الحالة الوجدانية التي يشترك الناس فيها جميعاً ممّا يسمّونه حزناً أو فرحاً أو خجلاً وما إلى ذلك، وكلّ العواطف صالحة أن تكون موضوعاً للأدب، ومنها عواطف يشترك فيها الناس جميعاً ومنها خاصّة، وأجملها ما كان يبعث على القوّة في الحياة. أمّا الخيال، فهو القوّة التي تجسّد المعاني والأشخاص وتمثّلها أمامنا حتّى تثير المشاعر وتمييز الإحساسات، وهو أساسي في الأدب، فإذا تجرّدت قطعة منه فلا تُعدّ أدباً¹⁵. وليس من أدنى شكّ - إذا نظرنا في القصيدة بعين ناقدة - أن الشاعر استطاع بلغته وعباراته التصويريّة المتمثلة في التشبيهات والجازات والاستعارات أن يقرب منا ويمثّل أمامنا الصورة والحالة التي وجد نفسه فيها حتّى بدأنا نشاركه في عواطفه وأحليلته في القصيدة. فقولُه مثلاً في هذه الأبيات:

"ذكرائك (ألفاً صلاتي) في ضمائرنا ** والأولياء كأحياء وإن ماتوا
ما مات مثلك والأفكار ذاكرة ** أيامك البيض والأيام خيرات
أطفأت نيران شرك في مواقدها ** فصار للدين والقرآن إنصات"
شعوراً بحبه الصادق للشيخ إندا صلاتي، وقد استطاع أن يحملنا على مشاركته في هذه العاطفة الصادقة بلغته التصويريّة التي أضافت إلى مضمونها رونقاً وجمالاً. وليس أنّ الشيخ أطفأ نار الشرك بصبّ الماء عليها كما اتّضح في ظاهر التعبير، بل يلجأ الشاعر إلى استعمال

الكناية عن صفة وهي الجهاد ومحاربة الكفار الحارّة، في خلق الإبداع الخيالي ليشعر القارئ بالمتعة الفنيّة في القصيدة. ومثل هذا اللون كثير في القصيدة.

الخصائص البلاغية في القصيدة:

إنّ ممّا يضيف إلى القصيدة الروح الفنيّة أنّصافها ببعض الخصائص البلاغية منها ما يتعلّق بالمعاني حيث يراعي الشاعر بالدقّة مقتضى الحال فيضع كلّ كلمة في قلبها إلى حدّ الجملة المحكّمة النسيج. وفي قوله:

سرّ الولاية تفشيه الكرامات ** لله في الخلق أسرار وغايات
والسرّ لا يتحلّى لامرئ عبثاً ** إلّا وتعجم عوديه الأذيات

فائدة الخبر، ذلك أنّ الشاعر يستطيع بفكرته الثاقبة استقصاء الكرامة فأدّى به الأمر إلى نتيجة أنّ الولاية مقام روحي بين العبد وربّه وهو سرّ. فالنبوة مثلاً تصدّق بالمعجزات إلّا أنّ الله فرض على الأولياء كتمان الأسرار ولا يفشيها للناس إلّا كراماته التي يكرمه الله بها، وهي لا تكرر إلّا نادراً.

وهو في جانب آخر يأتي بضرب آخر للخبر بحيث يراعي أحوال المخاطب من حيث التردّد والإنكار، فيأتي بالخبر المحمّدي الطلي في قوله: "إنّ الحقيقة نور...، إنّ الشكوك تجلّوها الدرايات، وإنّ قهليله كثر...، إنّ المجاعة لا توهمي عزيمته..."، ووردت في ثنايا قصيدته كلمات منكرات يقصد الشاعر ببعضها التعظيم، نحو قوله: "أسرار وغايات، علم، رايات، كثر، خارقة..." . كما يقصد بالبعض الآخر التحقير نحو قوله: "قلّب صديّ، قائمة، فاجر..."

ومن الخصائص البلاغية الواردة في القصيدة قوله:

إنّ الحقيقة نورٌ ليس يونسه ** قلب صديّ تغطيه الغباوات

وإنّ قهليله كثر يدخره ** عند الإله به تحلو المبالات

حيث يشبّه الحقيقة بالنور والتهلّيل تشبيهاً بليغاً لحذفه أداة التشبيه ووجه الشبه. ويشبّه التهلّيل بالكثرة في التدخير تشبيهاً مؤكداً لحذفه أداة التشبيه فقط. كما يبدو أنّه يشبّه الشيخ بالملك في الهيبة، وهو يتقوّى بالمجاعة، كالليث الجائع الذي لا يمنعه البناء العالي من بلوغ

منتهاه. وهذا في قوله: نزيد أسماؤه في الناس هيئته ** كما نزيد حلال
الملك قوّات

إن الجماعة لا توحي عزيمته ** كالليث في الجوع لا تعدوه سُورات
واستخدم الشاعر أسلوب الكناية في قوله:

أطفأت نيران شرك في مواقدها ** فصار للدين والقرآن إنصات
وليس الشاعر يرمي إلى لازم معنى الجملة الحقيقي الذي هو إطفاء النار بالماء كما هو طبيعة
الحال، بل يريد الملزوم الذي هو الجهاد ومحاربة الشرك عن طريق الكناية عن صفة.

الوحدة العضوية في القصيدة:

إنّ ممّا تقاس به الجودة الفنيّة في أعمال الشاعر، حسن تأديته تجربة شعريّة تنبض
بالحياة في أجزاء قصيدته المتباينة الوجود، لكن تربطها وحدة شعوريّة وفكريّة تجعل منها بنية
عضويّة متماسكة. وهي الوحدة العضويّة التي هي بنية حيّة تامّة الخلق والتكوين، بنية نابضة
بالحياة، بنية تتجمّع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته حيث إنّ مزيج مركّب من حقائق
كثيرة وجدانيّة وعقليّة، ومهما تكن الحقائق التي تكوّنه، فإنّها لا تتباين، بل تتآلف وتتحد
في تيار مغناطيسيّ يجذبها بعضها إلى بعض¹⁶.

وإذا أمعنا النظر في بنية القصيدة نرى واضحاً أنّ الشاعر استطاع أن يصوّر لنا
حدثاً وجدانيّاً تامّاً يتدرج فيه. إنّهُ يتحدث عن كرامة الأولياء التي هي أساس القصيدة،
لكنّه بدأ بالحديث عن الولاية التي هي - على حدّ قول الشاعر - النبوة الصغرى
والكرامات التي تظهرها، تطرّق بعد ذلك إلى صفة وليّ الله الحقيقي ومميّزاته، حتّى وجّه
الخطاب الشعري إلى الوليّ المشار إليه وهو الشيخ أحمد الرفاعي الشهير بـ "ألفا صلاحي"
الذي زانه الله بالكرامات المتعدّدة حيث يفصح ببعض كراماته، وختم القصيدة بأبيات ثلاثة
حبّذ وقدّر من خلالها جهد مؤلّف الكتاب المشتمل على كرامات الشيخ إندا صلاحي.

التعليق:

سبق الحديث في هذه الورقة أنّ الشاعر لم يتحمّس لترعة صوفيّة فنصطغ أشعاره
غالباً بالصيغة الصوفية، إنّما يتمتّع بخلفيّة صوفيّة في ظروف مختلفة، لذلك وجدنا له من
المعاني الصوفيّة في أشعاره. وممّا يدعو إلى الإعجاب بعمل الشاعر، صدقه الفني في هذه

التجربة الشعرية المثيرة حيث إنه استخدم الألفاظ المناسبة في الإفصاح عما يجيش في كامنه نحو كرامات الأولياء. ليس أنه قرأ عن الشيخ إندا صلاتي، فبصفه بكلمات يجامله بها أو يعالي فيها إلى حد بعيد، بل إن التاريخ يثبت لنا الحقيقة أنه أدرك حياة الشيخ وشهد عليه مناسبات مختلفة عبر عنها في أبيات القصيدة تعبيراً قوياً صادقاً بصوته من الاستطرادات المعية الروح الإسلامي الذي يتمتع به. هذا بالإضافة إلى مراعاة الإنهاء في استخدام الكلمات الأخاذة الجذابة التي استطاعت أن توحى المعاني الوضحة المطربة إلى المسامع، وليس هذا فحسب، بل حاول محاولة حسنة أن يواخي بين تلكم الألفاظ ومعانيها.

وإذا استمعنا إلى موسيقى القصيدة نلاحظ أنها تدق دقة الجرس في المسامع نتيجة التألف بين أصوات ونغمات القصيدة، فإن الشاعر قد اختار من الألفاظ ما لّد موقعها ورنّ جرسها على الأسماع وسهل النطق بها في المخارج، أعانه على هذا كله حسن اختياره البحر الذي يسطّ لمشاغره السبيل إلى أداؤها خير أداء. فبحر البسيط المختار لنسج القصيدة، كان من البحور المعدة للجميل إيقاعات الشعر إضافة إلى العاطفة القوية التي يتصف بها الشاعر والخيال الجميل الذي هو بمثابة لغة تلك العاطفة. ولا تغفل عن بعض الكلمات المنكرة التي لها نغماتها الرّكّانة في موسيقى القصيدة.

ولنعرف أسلوب الشاعر في القصيدة، نعدّ إعادة النظر في طريقة أدائه لأحاسيسه ومشاعره، تلك الطريقة التي سلكها في أداء الأفكار المتميزة بالجودة والعمق والاستيعاب، والانفعالات القوية الصادقة، والتعبيرات التصويرية، كما أحكم التراكيب النحوية وأحسن في استخدام صور التشبيه والكناية فيها، كلّ هذه الخصائص تجعل أسلوبه سهلاً ممتعا حيث لم يرو في عناصر أسلوبه ما يدعو إلى كدّ الفكر أو التّيس أو التعقيد اللفظي والمعنوي، أعانه عليه اختياره الألفاظ الشعرية الخالية من الوحشية والابتذال.

الخاتمة

قد حاولنا في الورقة أن نستخرج المعاني الصوفية في شعر عيسى إلي أبو بكر مع أنه غير متحمس لطريقة صوفية على وجه التحديد. ومع ذلك وجدنا له بعض القصائد.

في أغراض صوفية وخاصة تأنيته في كرامات الأولياء التي هي عبارة عن اعترافه ببعض الأحوال والمقامات الصوفية. وقد ألقينا الضوء على حياة الشاعر، وأتينا ببعض النماذج الشعرية للمعاني الصوفية في شعره، ثم عرضنا القصيدة التائية في كرامات الأولياء وتناولناها بالدراسة الأدبية. ومن خلال الدراسة استنتجنا النقاط التالية:

- لم يكن عيسى ألي أبوبكر شاعرا صوفيا لأن الأغراض التقليدية تأخذ بنصيب الأسد من أعماله الشعرية.
- يتمتع شاعرنا بخلفية صوفية طيبة تجعله يعترف بجهود المشايخ الصوفية في نشر الدين الإسلامي في ربوع العالم فيسجلها في صفحات شعره.
- كانت تأنيته في كرامات الأولياء خير دليل على حبه للأولياء الصالحين والتصديق لكراماتهم.
- امتلأت القصيدة باصطلاحات صوفية أحسن الشاعر في استخدامها.
- اتضح جليا في القصيدة أن الشاعر لم يبالغ في التعبير عن حبه للشيخ إندا صلاتي بحميه في ذلك الروح الإسلامي الذي يتمتع به.

الهوامش

1. د. عيسى ألي أبوبكر: الرياض؛ ديوان شعر، الطبعة 1، مطبعة ألي، إلورن، 2005م، (تقدم البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا للديوان) بتصرف يسير، ص: 16
2. المرجع نفسه والصفحة نفسها
3. المرجع نفسه، صفحة الغلاف الأخيرة (سطور كتبها دكتور مشهود محمود محمد جمبا عن الشاعر)
4. المرجع نفسه، ص: 39-40
5. د. عيسى ألي أبوبكر: صوت الخاطر (ديوان شعر)، مخطوط، ص: 28
6. المرجع نفسه، ص: 6-7
7. المرجع نفسه، ص: 31-33

8. محمد ناصر الدين أبوبكر الصلاحي: دقائق الصفات في بعض كرامات الشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاحي, ط1, المطبعة والسنة مجهولتان, ص: 6-7 وانظر كذلك د. عيسى ألي أبوبكر: صوت الخاطر (الديوان), مخطوط ص: 96
9. د. شوقي ضيف: في النقد الأدبي, ط9, دار المعارف, القاهرة, ص: 163-164
10. د. محمود عبد الرازق: المعجم الصوفي, ط1, ج3, دار ماجد عسيري, جدة, 1425هـ/2004م, ص: 1047
11. المرجع نفسه, ص: 1025-1026
12. المرجع نفسه, ص: 1033
13. المرجع نفسه, ص: 1066
14. المرجع نفسه, ص: 1206-1207
15. د. شوقي ضيف: في الأدب والنقد, دار المعارف, القاهرة, ص: 13-14
16. د. شوقي ضيف: المرجع السابق, ص: 153



ISBN 978-125-793-8



9 789781 257933 4 1 1 4



Printed by Ahmadu Bello University Press Ltd.,
P.M.B. 1094 Samaru, Zaria, Nigeria. Tel: 08065949711.
E-mail: abupresslimited2005@yahoo.co.uk;
Website: www.abupress.org